العراق: هل تضع أحزاب اللاهوت والميليشيات سياقات المرحلة المقبلة؟

د. باهرة الشيخلي
كاتبة عراقية

عَكَسَ تقييم النتائج الأولية للانتخابات التي جرت في العاشر من الشهر الحالي في العراق بوضوح تعبير العراقيين عن احتجاجهم ضد سياسات الفساد المالي والإداري، برفضهم التصويت بانتظار سقوط وهزيمة الأحزاب القمعية التقليدية المتخلفة التي تقود المجتمع من خلال تغذية مافيات الجريمة المنظمة ونشر الحروب والفوضى وتكريس الفقر والتشرد والجوع والأمراض.

واستناداً إلى تسجيلات صوتية ومقاطع مصورة (صوتا وصورة) وصور من العشرات من المراكز من مختلف أنحاء العراق، وشهادات شهود عراقيين وظّفتهم المفوضية العليا للانتخابات لقاء رواتب ومكافآت يومية، تبين أن أعلى نسبة مشاركة لم تتجاوز 11 في المئة.

وإذا حللنا النسبة الفعلية (11 في المئة) فسيظهر أن عدداً مهماً من نسبة المشاركين حضر ليس للانتخاب، بل لإسقاط الاستمارة الانتخابية، إما بوضع علامة (X) عليها أو بوضع أسماء زيادة عليها، مما يؤدي إلى بطلان الاستمارة، وكان عدد كبير من المقترعين من شريحة كبار السن ومن شرائح بسيطة لا تجيد حتى كتابة أسماء المرشحين، أي من الناس الذين يسهل تضليلهم وخديعتهم، كما أن عدد المراقبين الأجانب والعراقيين الذين زاروا مراكز الاقتراع كان في الغالبية المطلقة أكثر بكثير من المقترعين، ومعظم المراقبين والإعلاميين، وبالذات الأجانب، بثوا تقارير إلى دولهم تؤكد أن الانتخابات فاشلة والإقبال عليها يؤكد الهوة السحيقة بين شعب العراق وبين سلطة المنطقة الخضراء، وكانت أخطر الخدع التي لجأوا إليها هي احتساب النسب على أساس عدد من تسلم البطاقات وليس على أساس عدد من يحق لهم الانتخاب، والفرق بين طريقتي الاحتساب هائل جداً.

قد يكون في هذا الكلام الذي استقيناه من أحد المواقع الإلكترونية مبالغاً فيه، لكن الحقيقة أن العزوف العراقي عن المشاركة كان كبيراً جداً، وأن الأرقام التي أعطتها المفوضية العليا للانتخابات كانت المبالغة فيها واضحة، وربما كان ذلك بسبب ضغوط مارستها جهات سياسية، فقد أفادت مصادر صحافية نقلاً عن مسؤولين حكوميين اثنين في العاصمة بغداد، أحدهما مقرب من رئيس الحكومة، ما وصفاه بضغوط مارستها قوى سياسية حققت نتائج متواضعة في هذه الانتخابات تعرض لها أعضاء مفوضية الانتخابات، مؤكدين أن "اتهامات بالتزوير واستهداف الحشد الشعبي و(محور المقاومة الإسلامية) و(التعاون مع مخطط خارجي)، عبارات سيقت في الساعات الماضية على أسماع عدد من أعضاء مجلس أمناء المفوضية واضطر كثير منهم لإغلاق هاتفه والبقاء داخل المنطقة الخضراء"، بعد شعورهم أن "الضغوط تستهدف إرغامهم على تغيير نتائج الانتخابات".

هذا يبين أن هذه الانتخابات فضيحة مدوية لم يسبق أن حدث مثيل لها في الدورات السابقة.

المهم أن مسرحية الانتخابات انتهت، واختفى الممثلون خلف جدران الخديعة ليبدأ تقاسم الكعكة، كعكة السلطة التي لها معنى واحد في العراق المحتل هو السرقة والنهب بوسائل معروفة وأخرى مبتكرة يخترعها العقل المرتزق أو يشتريها من رعاة الحفل الراقص على بؤس العراق وشقاء العراقيين، وليمدد الاحتلال الإيراني المتوحش للعراق لحقبة أخرى.

ظنّ مخرجو المسرحية وممثلوها أن انتهاء لعبتهم بإغلاق صناديق الفجيعة سيدفن ثورة أكتوبر التي عجز القتل والاعتقال والإعاقات الجسدية والتهجير عن دفنها، وما علموا أن هذه اللعبة منحت هذه الثورة وقوداً جديداً سيشعلها من جديد، فالعزوف العراقي الواسع مؤشر على بداية نهاية العملية السياسية بانطلاقة متجددة للشباب العراقي الذي فجر ثورته في أكتوبر 2019.

> **مسرحية الانتخابات انتهت واختفى الممثلون خلف جدران الخديعة ليبدأ تقاسم الكعكة، كعكة السلطة التي لها معنى واحد في العراق المحتل هو السرقة والنهب بوسائل معروفة وأخرى مبتكرة يخترعها العقل المرتزق**

نحن أمام جيل جديد من الشباب الذين انتصروا على الخوف وسياسات الإرهاب المافيوي.. جيل يعي أن لا فرق بين إرهاب دولة الخلافة وإرهاب مافيات الجريمة التي اغتالت ريهام في البصرة واغتالت أم عباس في الناصرية، واغتالت النشطاء والكتاب، كما يفعل داعش الإرهابي. الشباب العراقي الثائر هو الذي سيواجه مافيات الجريمة وتهريب المخدرات والنفط وتبييض الأموال، فهو جيل المستقبل الذي سيقود العراق نحو دولة المؤسسات والفصل بين السلطات وضمان الديمقراطية والحقوق.

من الضروري الإشارة إلى ما قاله الدبلوماسي السابق الدكتور غازي فيصل حسين، مدير المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية، إن حكومة مصطفى الكاظمي جاءت لتلبية مطالب ثوار تشرين ولكنها فشلت في تصفية الفساد ولم يحل قادة المافيات إلى العدالة لاسترجاع المليارات ومعالجة البطالة والفقر وإحالة القتلة والمجرمين الذين اغتالوا أكثر نحو ألف من الشباب العراقي بالإضافة إلى ضحايا الانتفاضة الذين يقدر عددهم بـ20 ألفا من الشباب في البصرة والعمارة والنجف وكربلاء والناصرية وبغداد، والانتهاكات الخطيرة مما يدفع شباب تشرين للاستمرار في التعبير عن غضبهم في مواجهة الظلم والقهر والاستبداد.

إن أي حكومة ستفرزها هذه الانتخابات في ظل الظروف الحالية لن تتمتع إلا بالقليل من الشرعية ولن يكون لديها بالتأكيد إجابات عن المشكلات السياسية والاقتصادية المزمنة التي يواجهها العراق، إذا حاول المجتمع الدولي النظر إلى هذه الانتخابات على أنها نجاح، فإنه يتجاهل العنف الذي أعاق الحملة ورفض الشباب الذين يشعرون بالعزلة للمشاركة.

وحسب الناشط والكاتب السياسي شاكر كتاب فإن الأحداث التي رافقت عملية الانتخابات الأخيرة في العراق أثبتت أن ما يسمى بالديمقراطية التي تمارسها القوى المتسيدة إنما هي أكذوبة تستعمل عند الحاجة وعندما تتعارض يوما ما مع مصالح السياسيين المشاركين في العملية السياسية تنقلب وبالاً على البلاد، فضلاً عن أن المفوضية، هي الأخرى، تمكنت من أن تثبت للجميع أنها حلقة زائدة لا نفع لها سوى التكاليف المالية العالية وذر الرماد في العيون لتغطية عملية انتخابية فاشلة غير حقيقية أبدا.

من الناحية المعاكسة فإن الشعب العراقي قال رأيه صراحة بهذه الانتخابات وبالقوى التي تتغطى بها. فالمقاطعون رفضوا المشاركة لأنهم، كما قالوا صراحة، لا يثقون بأية إمكانية للتغيير أو الإصلاح وهم متأكدون من وقوع التزوير وحرف إرادة الناخبين.

أما المشاركون وبالرغم من قلتهم الواضحة فلقد حجبوا أصواتهم عمن لم يف بوعوده سابقا وعمن تلهى بالامتيازات والمنافع والمصالح الخاصة والضيقة فراحت الأصوات لقوى وشخصيات أخرى ولوجوه جديدة لم تتدنس بالسحت الحرام، وهذا ما أشار إليه عدد المستقلين الفائزين الذي بلغ الأربعين نائباً جديداً، ثم أن فوز الناشطين من حراك أكتوبر المتمثلين بمجموعة امتداد له دلالة أكثر خطورة، بالرغم من أن حراك أكتوبر يعدهم منشقين عنه، فالشعب يصطف إلى جانب الشخصيات التي لا تنحدر من الكتل السياسية المتحكمة وإلى جانب ثوار أكتوبر. والشعب ينتظر من هؤلاء وأولئك أن يثبتوا مصداقيتهم في ما أعلنوه في الشعارات التي رفعوها.

ختاماً، فإنه بانقضاء كوميديا الانتخابات عاد المدججون بالأسلحة والأساطير، والمشهد الهزيل ذاته يتكرر منذ انتخابات 2005، التزوير واقتسام المغانم والشروط المتبادلة بين الكتل لقضم ما بقي من جسد العراق، وسيمضي قطيع الذئاب إلى غابة (البرلمان) لتبادل المنافع وتوزيع العقود، عبر وزارات المحاصصة واللجان الاقتصادية في مؤسسات الدولة وستتولى أحزاب اللاهوت وميليشيات الحشد الشعبي وضع سياقات المرحلة المقبلة ومن أولوياتها تصفية الحراك الوطني وإنهاء خطوط ثورة شباب أكتوبر، إلا أن ذلك سيكون المستحيل بعينه.

عندما تتسلل إيران في المباريات الجيوسياسية

كرم نعمة
كاتب عراقي
مقيم في لندن

الدول الوطنية لا تثق بحكام المباريات الجيوسياسية المستمرة. لا يوجد حكم عادل بينهم، فكل الصافرات المطلقة تنطلق من مصالح سياسية وتجارية لا علاقة لها بمفهوم العدالة والحق. مثلما لا تنظر الدول الوطنية بأهمية إلى الاستراحة بين الأشواط، إن توفرت فعلا، فتلك المباريات مستمرة وفقا لشواهد التاريخ في علاقة إيران مع جيرانها العرب.

هناك عمليات تسلل مستمرة تحدث في تلك المباريات السياسية، والمتسلل لا يعبأ بصافرة الحكام الدوليين والإقليميين عندما لا تمتلك قوة السلاح وتوجيهه قبل إطلاق النار. ففي المعارك السياسية والحربية لا تفيد صافرات الإنذار، هناك ما هو أقوى وأهم منها يمتلك قوة الردع. لذلك تستمر عمليات التسلل السياسي الإيراني في المنطقة، بينما لا يتوفر حكام مباريات عادلون في علاقة العرب مع إيران، كما أن الفوهات الوطنية لم تصلها الأوامر لإيقاف التسلل كما حصل في عقود الثمانينات من القرن الماضي. وهكذا تستمر إيران في إحراز الأهداف السياسية في المنطقة!

قدرة إيران على المطاولة من دون أن تجد أمامها الخصم الرادع، كما كان يفعل العراق في زمن ما، جعلت دول المنطقة تتحسس أجنابها، ووجدت أن حراس الثغور الأميركيين الذين تعتمد عليهم بأموالها غير مبالين، ولم يكن أمامها غير البحث عن حراس جدد في أوروبا وروسيا والصين. فاستراتيجية إيران شلت إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن وردعتها عن معاقبة نظامها الثيوقراطي، الذي لم يتوقف عن المباهاة بجيوشه من العراق حتى سوريا ولبنان وغزة إلى اليمن. ماذا عن "الجيوش الطائفية" في مدن عربية أخرى قريبة جغرافيا إلى إيران تترقب أن تصلها أوامر طهران؟

على مستوى آخر نجد النيات السياسية الطيبة تستمر في المبادرة من السعودية، الدولة الأكثر تضررا من التسلل الإيراني إلى دول الإقليم.

قبل أيام نقلت وكالة رويترز عن مسؤول إيراني بارز رفض كشف اسمه قوله إن بلاده "ستعود في نهاية المطاف إلى المحادثات في فيينا، لكننا لسنا في عجلة لفعل ذلك لأن الوقت إلى جانبنا. بينما يتقدم برنامجنا النووي يومياً".

في المقابل يقرأ دبلوماسي أوروبي بارز واقع التسلل الإيراني في المباريات الجيوسياسية المستمرة في المنطقة بطريقة أن الإيرانيين يريدون "تأسيس أمر واقع على الأرض، تقني ونووي، والمحافظة على احتمال المفاوضات".

كل التساؤلات اليوم لا أهمية لها عن إحياء الاتفاق النووي مع إيران، فهو أمر سيحدث بطريقة أو بأخرى لمصلحة طهران، وفي أفضل الأحوال يكون ضرره على دول المنطقة بأي نتيجة يمكن الاتفاق عليها، فالرئيس الأميركي يريد إحياء الاتفاق النووي في نهاية المطاف.

نقل مدير شبكة معلومات سياسات الشرق الأوسط الدكتور إريك ماندل عن مستشاري السياسة الخارجية في مجلس الشيوخ كيف ذُهل الدبلوماسيون الأوروبيون الذين زاروا المجلس لمناقشة الاتفاق النووي مع إيران بسبب اكتشافهم أن الأخير ليس سوى اتفاق تنفيذي فاقد لقوة القانون الأميركي.

لكن لا أحد من كبار قراء المستقبل السياسي الذين تعتمد عليهم الحكومات العربية، قادر على بث نوع من الاطمئنان في الشارع العربي القلق من أن تحل إيران بين جوانحه.

ماذا أعددتم أيها السادة وإيران تفرض وجودها بقوة السياسة والسلاح؟

لست ممن يمتهنون لعبة السياسة المتشائمة، لكن أتوقع ألم القلوب على أشده بين شعوب المنطقة، عندما يجلس إبراهيم رئيسي المصنف في قائمة الإرهاب مع كبار حاشية البيت الأبيض لإعادة التوقيع على اتفاق القبول بإيران المارقة كدولة مسالمة لخير واستقرار المنطقة.

هل تكفي الاستعانة بالتاريخ القريب؟ سيكون ذلك أفضل الأحلام السياسية لنشطاء العالم العربي على فيسبوك وتويتر! بينما يدخل القرار السياسي العربي طور الصمت. فالبيانات الرافضة لإحياء الاتفاق ستجعل محرري وكالات الأنباء العربية الرسمية يشعرون بالحنق والاستياء من أنفسهم عند نشرها في مواقع بلادهم الرسمية.

لا أريد هنا التعويل على الضجيج الإسرائيلي تجاه إيران، فإسرائيل في النهاية لا تدافع عن الدول العربية، إنها ستفكر بنفسها في دائرة مغلقة متعلقة بقوة الردع تجاه إيران، لكنها ستكتفي بالمراقبة حتى وإن اجتاح الحرس الثوري الإيراني مدينة البصرة على الخليج العربي!

هناك أخبار سيئة لدول الإقليم متصاعدة ومستمرة تأتي من طهران، يقابلها صمت عربي ونيات طيبة بمطالبة دبلوماسية لينة لإيران بتغيير سلوكها والكف عن التدخل في شأن دول الجوار!

دعوني أسرد بعضا من تلك الأخبار السيئة:

قال وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبداللهيان إن واشنطن سترفع تجميد عشرة مليارات دولار من الأصول الإيرانية في بادرة حسن نية قبل استئناف طهران المفاوضات على العودة إلى الاتفاق النووي.

نقلت وكالة بلومبرغ عن مصدرين مطلعين القول إن إيران طلبت من السعودية إعادة فتح القنصليات وإعادة العلاقات الدبلوماسية، ليكون هذا بمثابة مقدمة لإنهاء الحرب في اليمن. "إنهاء الحرب يعني في مقدمته الاعتراف بسلطة الحوثيين الإيرانية"!

أجرى وزير خارجية إيران حسين أمير عبداللهيان، اتصالا هاتفيا "غير مألوف" مع نظيره الأردني أيمن الصفدي بحثا خلاله العلاقات الثنائية وسبل تطويرها، والقضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك.

تراقب أسواق الطاقة عن كثب أي استئناف للمفاوضات النووية مع إيران، للشروع بأسرع ما يمكن لإنهاء العقوبات على طهران.

قال الرئيس السابق لجهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد) يوسي كوهين إن إيران ليست قريبة من امتلاك قنبلة نووية.

وهناك أخبار أكثر سوءا تتوالى من العواصم العربية القريبة من إيران، سأترك المساحة للقارئ الكريم لإضافتها!

في موازاة كل هذه الأخبار السيئة لم يتغير زخم خطط المباريات عند الدول العربية المهددة من طهران، بينما إيران مستمرة في عملية التسلل والعالم يحتسب أهدافها في مرمى البلدان العربية.

لسوء حظ التاريخ العربي، لا يمتلك مدربو منتخباتنا السياسية لحد الآن أي خطة لمواجهة التفوق الإيراني المستمر بالطريقة التي جعلت آية الله الخميني يعترف بتجرع السم العراقي. كما أن موسكو وباريس وبكين لا تقدم لهم أكثر من المقايضة التجارية، في الوقت الذي تقدم فيه تلك العواصم على الجانب الآخر نفس الإمدادات لإيران!

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk